الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

صانع البؤس :

نشر أن لجنة ألفت لإحياء ذكرى عبد الحميد الديب ، فقررت جمع ما قيل في حفلة تأبينه وطبعه في كتاب ، وطبع ديوانه ، وإقامة حفلة للاحتفاء بذكراه . ونشرت بعض الصحف أخيراً كلمات حث فيها أصحابها على الاهتمام بهذه الذكرى . وفي كل ذلك ، وفي كل مناسبة يذكر فيها عبد الحميد الديب ، يصفه القائلون والكاتبون بالشاعر البائس ، وينحون باللائمة على مصر لإهمالها إياه ، وذهب بعضهم إلى أنه أهمل حياً وميتاً ، وهم لذلك يرمون هذه الأمة بالقسوة والجحود لعدم عرفانها أقدار النابغين من أبنائها !

قيل كل ذلك ، وقيل مثله في حفلة التأبين الماضية ، وسيدور حوله المحتفون بالذكرى في الحفلة المزمعة ... فهل كان عبد الحميد الديب بائساً حقاً ؟ أو بتعبير آخر : هل ظلمه المجتمع وحرمه نعمة العيش الرخي ؟

إنما يأتي البؤس والحرمان من التعفف مع عدم القدرة على الارتزاق ، وقد كان الديب على عكس من يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف .. إذ كان من العفاة السائلين ، وكان ذا حيلة في هذا المضمار تدر عليه الكثير من العطاء ، وكان يعاونه على ذلك أصدقاء ؛ منهم من هو معجب بشعره ، ومنهم من يتفكه بتصرفاته ومفارقاته ، وكان بعض هؤلاء لا يبخلون عليه بما يملكون .

وكثيراً ما هيئت له أسباب العمل ، فقد وظف عدة مرات في التدريس بمجالس المديريات ، وطالما دعي إلى التحرير بالصحف والمجلات ؛ فكان يبدأ العمل وينقطع عنه بعد قليل ، وفي بعض الأحيان كان يحتال لأخذ المرتب مقدماً ، ثم يذهب ولا يعود !

وكان له زملاء في أول العهد قاسموه التسكع في الحي الحسيني ، وكانوا يسمونه « الحي اللاتيني » ، ولكنهم أخذوا بأسباب العمل ، ومنهم الآن صحفيون ناجحون ذوو دخل كبير . ومما يروى من نوادرهم معه في عهد البؤس أن أحدهم — وهو الآن صحفي معروف يكسب حوالي مائة جنيه في الشهر — نازع الديب عدداً قديماً من جريدة الأهرام ، إذ أراد كل منهما أن يهيئ به فراشاً على (الرصيف) في حرم المسجد الحسيني ، فاقتسماه ، ولكن القسمة لم تحسم الخلاف ، فقد تمسك كل منهما بأن يأخذ الجزء الذي فيه « افتتاحية » العدد .. وكانت موقعة اسمها « معركة الافتتاحية » ، ويظهر أن الذي ظفر بهذا القسم غريم الديب ، فقد كان له فألا حسناً ، إذ صار بعد ذلك يكتب الافتتاحيات !

وكان الديب يقضي حياته الخاصة في الظلام ، يباشر فيها أنواعاً منحرفة من أخس الآدميين ، وكان ينفق على هؤلاء ومعهم ما يجمعه من هنا وهناك . فهو يبدأ الجولة بقصد إحدى القهوات الكبيرة ، حيث يلقى بعض الأدباء والمياسير ممن يعطفون عليه ، فيسمعهم من شعره ، وقد يطرفهم بنوادر من شئونه الخاصة معرضاً بحاجته ، وقد يتعرض بخرق كبير في (البنطلون) وبروز أصابع القدم من الحذاء ، وقد ينشد مدحته لأحد الجالسين ؛ ثم يخرج عامر الجيب إلى حيث يفرغه في تلك البيئات المنحطة ... ثم تنتهي الدورة بفترة البؤس الذي سئمه بتلك المقدمات !

ولم يكن وفياً للمغدقين عليه ، بل كان ينثني عليهم بالهجاء ، بعد أن قدم المدح على العطاء ... ومن غريب أمره أنه كان يهجو على قدر العطية ... وكان يعرف ذلك منه المرحوم أنطون الجميل باشا فكان لا يعطيه في المرة إلا (شلناً) ويقول : لا أريد أن أستكثر من الشتم ! ولعل هذا هو الذي أوحى إليه نوعاً طريفاً من المدح : بضعة أبيات لا يتغالى بها في مدح الممدوح ، وكان يسمى هذه المدائح « الشلنيات » نسبة إلى ما يرجوه من ورائها . وكان يطلق لسانه — حديثاً وشعراً — على كل من يحسن إليه ، قيل له : اهج فلاناً . فقال : ولماذا أهجوه وهو لم يحسن إلي ولم يعطني شيئاً ؟ ورآه أصحابه مرة مقبلا عليهم في تيه وكبرياء ، فقالوا إنه لابد أن يكون في جيبه — على الأقل — عشرة قروش ... فلما سألوه في ذلك ، قال : أنى لي ... وهل يترك مني كامل الشناوي شيئاً يا أستاذ ! ؟ والأستاذ كامل الشناوي معروف بعطفه عليه

واهتمامه بأمره ... وشاهده بعض أصحابه في ثياب رثة ، فقال أحدهم ، وهو الأستاذ محمد مصطفى حمام : يعز علينا أن يكون الذيب عارى الخلف ، لا من (بنطلون) بل من (جلباب) ، وتطل أصابع قدميه لا من (جزمة) بل من (بلغة) ، فهلموا نوارى سوأته ... وأحضروا له ثياباً نظيفة وحذاء جيداً ، فأخذها وذهب ، وبعد برهة عاد إليهم مزهواً فيها ، ونظر إليهم شزراً... ثم قال : ألا ترونني وجيهاً يا كلاب ! ولم يكن يليق بهذا السؤال في هذه الحال إلا جواب واحد : بلى يا ذئب !

ولم يشذ الديب عن الجزاء الوفاق بهجاء من يحسن إليه ، إلا مع معالى الأستاذ ابراهيم دسوقي أباظة باشا . قال لى الأستاذ محمد مصطفى حمام : مدح الديب دسوقي باشا بقصيدة جيدة منها :

ولو هيأءو للديب رزقاً لكان بحمدكم صلى وساما
ومالى لا أرود حمى رحيباً تكنف حافظاً ورعى حماما

وصحبته إلى معاليه ، فأنشده إياها ، فأعطاه خمسة جنيهات (من جنيهات ما قبل الحرب) ، وحقيبة كبيرة ملأى بالملابس ، وأحاله إلى (الترزى) ليصنعها على قده ... فكاد يجن من الفرح وراح يقارن بين حاتم الطائى وبين دسوقي باشا مقارنة انتهى فيها إلى أن الأول أسطورة كاذبة والثانى حقيقة ماثلة . ووالى إنشاء المدائح فيه . ولكن « الذئبية » أدركته مرة ، فقال أبياتاً أولها :

أباغ أباظة عنى أنهم ورثوا مالا ولم يرثوا ديناً ولاخلقا

وبلغت الأبيات دسوقي باشا ، فابتسم ، ثم استدعاه ، ونفحه نفحة أخرى ، وقال : إن يكن قد هجانا ، فإنى أكافئه على الشعر الجيد . فاستمر يمدحه بعد ذلك حتى كان آخر ما قاله من الشعر فى مدحه ، ولم يجازه الجزاء « الوفاق » !

هذه هي الحقيقة في حياة عبد الحميد الديب كما يعرفها خلطاؤه لا كما يحلو لبعض الناس أن يصورها ؛ فلم يكن البؤس يأتى إليه قدراً لا يد له فيه ، وإنما كان هو يصنع البؤس صنعاً ، كان يحصل على المال بتلك الوسائل ويبذره تبذيراً في أدنأ الوجوه ، وفى أقذر البيئات ، ثم يجوع ويعرى بصنعه ... وكانت تعوزه الكرامة والإباء والعفة ليكون بائساً حقيقياً . وكان لا يتحرج من أية وسيلة للاستفادة المادية ، ولا يتورع عن أية شتيمة ، ولم ينج من هجوه أحد ممن عرف سواء أعطاه أم منعه . وقد صب جام هجائه على جميع الأدباء بقوله :

يا رجال الشعر والقول الرصين لعن الله أباكم أجمعين

أما الناعون على هذا الوطن جحوده وإهماله النابغين من أبنائه فليلتمسوا المثال في غير عبد الحميد الديب ، وبعفوا التاريخ من التزوير والتزييف .

وأما الذين يحبون أن يصوروا الأديب أو الفنان إنساناً منحلا متفككا متحللا تائهاً شارداً ... فليعفوا الأدب والفن مما يحبون .

أسبوع شوقى :

اقتربت ذكرى المغفور له أحمد شوقى بك أمير الشعراء ، فقد توفى فى الرابع عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٣٢ . وفى مثل هذا الوقت من العام الماضى ثارت عجاجة حول برنامج حفلة وضع لإحياء ذكرى شاعر مصر الكبير ، لأن البرنامج كان فيه انحراف عما يليق بهذه الذكرى الكريمة ، وكان لنا بلاء فى مقاومة هذا الانحراف ، انتهى إلى نتيجة مرضية مؤسفة معاً ، إذ كان القائمون بالمشروع ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه ، فعدلوا عما كان موضع المؤاخذة ، فكان ذلك عملا مرضياً ؛ أما المؤسف فهو أن الحفلة أجلت أشهراً ثم أقيمت متأخرة هزيلة .

ويظهر أن ذكرى شوقى كانت فى العام الماضى — على ما كان فيه — أحسن حظاً منها فى هذا العام ... فقد كان فى الأول كلام (والسلام) ، أما اليوم فلا نسمع لهذه الذكرى أى حديث مع الأسف الشديد !

أقول هذا وبنفسى فكرة أوحت إلىّ بها كيفية الاحتفال بذكرى سيد درويش ، فقد رأينا أن الرجل احتفى بذكرى نفسه إذ كان أكثر البرنامج من موسيقاه وأغانيه وأناشيده . فأقترح أن يخصص أسبوع لذكرى شوقى (ولا أقل من أسبوع) تشغل لياليه ، أو أكثرها ، بتمثيل مسرحياته وغناء شعره ، ويسمى هذا الأسبوع « أسبوع شوقى » ، ويمكن تنفيذه فى هذا العام وإن كان الوقت ضيقاً ، فمسرحياته لدى الفرقة المصرية للتمثيل ، والممثلون مدربون عليها وحافظون أدوارهم فيها . وهذا ديوان شوقى ، وهذا عبد الوهاب ، وهذه أم كلثوم ، فإن لم يستطيعا

تلحين جديد ، فلديهما ما أخذاه من الديوان من قبل .

ولكن من يقوم بالتنفيذ ؟ تقوم به وزارة الشئون الاجتماعية فهي المشرفة على الفنون والمسارح ، وأذكر لها أعضاء اللجنة التي ألفت في العام الماضي لهذه الذكرى ، ومنهم الدكتور ابراهيم ناجي الذي ثبت في الميدان بعد أن تخلوا عنه وأصر على الاحتفاء بالذكرى ، على قدر ما استطاع ...

وممن تتفق الوزارة على هذا الأسبوع؟ أظن ذلك لايعجزها. ولو كان الأمر بيدي لأخذت المبلغ الكبير المخصص لاستيراد الفرق الأجنبية وأنفقته على هذا الأسبوع ويسرت على الناس مشاهدة حفلاته ، ليربطوا ويذكروا شوقي ..

الشعر المعاصر :

صدر أخيراً كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، وقد بين فيه مذاهب النقد الأدبي ومقاييسه والمذاهب الأدبية وعناصر الشعر وما ينتمي إلى ذلك من أبحاث النقد الحديث ؛ وعرض عليها الشعر العربي المعاصر ، مستقصياً بيئاته وألوانه ، مبيناً طرائقه وسماته .

ولايسع متتبع الحركة الأدبية إلا أن يلتفت إلى هذا الكتاب ويهتم به ، لأنه كتاب جديد في المكتبة العربية ، فهو أول مؤلف عربي — على ما أعرف — في موضوعه بشقيه : الكلام في النقد الحديث ، وتطبيقه على الشعر المعاصر . ومما يدعو أيضاً إلى الالتفات إليه والاهتمام به ، ظهوره في هذا الوقت الذي كاد ينعدم فيه النقد الأدبي ، فلم نعد نرى إلا هذه المجالات التي تكتب عن الكتب هنا وهناك ، بدافع المجاملات الشخصية ، والتي يكتفي كاتبوها — في أكثرها — بإلقاء نظرة عاجلة على الفهرس والمقدمة إن كانت قصيرة ... وما أسوأ حظ النقد في أدبنا الحديث ، فقد انقلب إلى هذه الحال من الضد ، إذ كان فيما مضى شتائم وتجريحات ، فصار الآن مجاملات ومبادلة تحيات ..

وأعود إلى كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » فأقول : إنه يبدو فيه ما بذله مؤلفه من جهد شاق مثمر ، ومن ميزاته الاتزان واستقامة النهج ، ولا إخال المؤلف قصد إلى التطفيف والإرجح[1] في ميزانه ، بما لاحظته في الكتاب منهما ولا أرجع ذلك إلا إلى ما ارتآه . وأكتفي بهذه الإشارة ، لأن المقام لا يسمح بالتفصيل والتمثيل . وحسب الأستاذ السحرتي أنه وضع بكتابه هذا لبنة في بناء الأدب العربي الحديث .

التأليف المسرحي :

اتجهت الرغبة منذ أوائل هذا العام إلى النهوض بالمسرح ، ولما كانت الفرقة المصرية هي الوحيدة التي تواصل العمل المسرحي الراقي في مصر ، فقد كانت هي محور الاهتمام ، فضم إليها بعض الممثلين والممثلات وعلى رأسهم الأستاذ يوسف وهبي بك الذي أسندت إليه إدارتها ، مع بقاء الأستاذ زكي طليمات مديراً فنياً لها

وكان أول شيء استدعى الاهتمام في الاستعداد للموسم القادم هو أزمة التأليف المسرحي التي كانت تضطر الفرقة إلى تكرار المسرحيات القديمة . ولمواجهة هذه الأزمة وعلاجها اتخذت الخطوات الآتية :

١ — قررت اللجنة العليا لترقية التمثيل إجراء مسابقة عامة للتأليف المسرحي يدخلها المتسابقون من مصر وسائر الأقطار العربية ، وجعل لها ثلاث جوائز : المسرحية الأولى ٢٥٠ جنيهاً ، والثانية مائتان ، والثالثة مائة وخمسون .

٢ — وقلت للأستاذ زكي طليمات : لوحظ أن المتدين بأنفسهم لا يدخلون المسابقات ، وأن الإنتاج الذي يقدم فيها ضعيف ، فهل تتوقع مع هذا أن تنتج المسابقة نتاجاً يكفي الفرقة ؟

فقال : هذا صحيح ، ولذلك جعلنا مبلغاً مساوياً لمجموع الجوائز — وهو ستمائة جنيه — لتكليف كبار الكتاب المعروفين بالقدرة على التأليف للمسرح ، ومنهم الأستاذ توفيق الحكيم ، وهو الآن يعمل في مسرحية بناء على طلب الفرقة ، ويوسف بك وهبي يؤلف الآن مسرحية ، والأستاذ محمود تيمور بك ألف مسرحية اسمها « الملك الحائر » ، وهي تتناول شخصية امرئ القيس ، وقد نحا فيها نحو روايته الماضية « حواء الخالدة » .

٣ — هناك مسرحيات كانت قد قبلتها قديماً لجنة القراءة ودفع ثمنها ، وأخرى فازت بجوائز في مسابقة كانت أجرتها وزارة الشئون الاجتماعية ، ولم يمثل من هذه ولا تلك شيء ، فاختار بعضها يوسف وهبي بك لمواجهة أول الموسم ريثما يفرغ المؤلفون من تأليفهم ، ومن هذه الروايات « سر الحاكم بأمر الله » للأستاذ أحمد علي باكثير ، وسيبدأ بها الموسم في منتصف أكتوبر وتجري الآن تجاربها في مسرح حديقة الأزبكية .

عباس خضر

(١) التطفيف : نقص الوزن ؛ والإرجاح : زيادته .